رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الرابعة عشرة – العدد [٦٥] ربيع الآخر ١٤٤٠هـ/ يناير ٢٠١٩م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- الكويت في تقرير السفينة الحربية البريطانية «إميرالد» (القسم الثاني)
- صحة الكويت – في الوثائق البريطانية
- أخبار الأمطار في الكويت في وثائق أسرة الحمد
- من أعمال الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي (الجمهورية اليمنية)
- من مكتبة المركز
- إصدارات المركز الجديدة

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

نواصل في هذا العدد نشر ما يتعلق بالكويت في تقرير السفينة الحربية البريطانية «إميرالد» الذي يكشف عن حلقة من حلقات التعاون بين الكويت وبريطانيا عبر تنفيذ ما نصت عليه اتفاقية الحماية التي عقدها الشيخ مبارك الصباح مع الحكومة البريطانية عام ١٨٩٩م.

ويكشف ذلك التقرير عن التنظيمات العسكرية البريطانية في مواجهة حروب الصحراء، وكيفية التنسيق مع المواطنين، والصعوبات التي واجهتهم؛ وخاصة في مجال الطقس، الذي اتسم في ذلك الوقت بالبرودة الشديدة، والرياح العاصفة التي طوّحت بعدد من خيامهم. وتضمن التقرير أيضاً وصفاً للاستعراضات، والمشاهد التمثيلية التي مارسها جنود البحرية البريطانية على الأرض بالقرب من السور، بحضور جمهور غفير من المواطنين. ويضاف إلى كل ذلك وصف مدينة الكويت، ومتعة التجول في أسواقها، وبعض الجوانب الأخرى، والصور الفريدة التي ورد بعض منها في التقرير.

إن نشر هذا التقرير يعد سبقاً لـ «رسالة الكويت»؛ إذ لم تشر المصادر التاريخية السابقة إلى هذا المصدر، وهو جزء من الجهود التي يبذلها مركز البحوث والدراسات الكويتية لمحاولة جمع كل ما يمكن جمعه من وثائق ومقالات وبحوث عن الكويت. وقد سبق التعريف بعدد من المقالات والدراسات والاستطلاعات عن الكويت من خلال هذه «الرسالة»، التي أصبحت بحق مصدراً للباحثين في تاريخ الكويت.

وما توفيقنا إلا بالله

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص.ب: ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي: ١٥٤٦١ الكويت – ت: ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس: ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

الكويت
في تقرير السفينة الحربية البريطانية «إمير الد»
(القسم الثاني)

إعداد: أ. علي غلوم الرئيس

[في القسم الأول من هذا التقرير تكلمنا عن الرحلة الأولى للسفينة "إميرالد" إلى الكويت، وكانت زيارة قصيرة ليوم واحد، وهو يوم ١٩ من ديسمبر ١٩٢٧م، ثم جاءت مرة أخرى في ٢٣ من يناير، وبقيت نحو أسبوع، وذكرنا أسباب تلك الزيارتين، وأوردنا القصيدة التي نظمها قبطان السفينة الكابتن هارولد فرانكلين في بيان المهام الموكلة للسفينة بالنسبة للكويت.

وفي هذا القسم الثاني من التقرير تفصيل للزيارة الثالثة التي استغرقت عدة أسابيع من يوم الجمعة الموافق ١٧ من فبراير ١٩٢٨م إلى يوم الأربعاء الموافق الرابع من أبريل ١٩٢٨م، وفي هذه الزيارة توثقت صلة ضباط السفينة بحاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح، وتعرّفوا عن قرب على الكويت، ووصفوا ما شاهدوه؛ بالإضافة إلى المهام العسكرية التي جاؤوا من أجلها].

(١) مدينة الكويت

تقع الكويت مباشرة على حافة المياه، وفي الحقيقة فإن المنازل تحتشد هناك بغير انتظام؛ أحدها أعلى من الآخر، وبعضها متقارب جداً من بعضها الآخر، حتى إنه لم يتبقَّ إلاَّ مِسَاحة بسيطة للطرق. وفي المقدمة تقع دار المندوب السامي، وتوضع المراكب الشراعية على الشاطئ، وتتكدس مؤخراتها عبر الشارع. ويبدو السوق نظيفاً وممتعاً، ولا يصنع هناك شيء محليّ له أصالته وخصوصيته، بل مجرد مجموعة متنوعة من الأشياء الغريبة – العزيزة على قلب جامعي التحف – يمكن اقتناؤها بعد مساومة ممتعة مع البائع؛ فمن الممكن شراء أواني القهوة ذات الأشكال الغريبة، وأباريق ماء الورد، والسيوف، والخناجر، والبنادق من كل نوع وصفة، وعلى المرء ألاّ ينزعج من الباعة المتجولين المزعجين؛ تنزّه داخل المحلات الصغيرة المريحة، وخذ أي شيء تريده، سيبقى الجالسون القرفصاء في المدخل كما هم، وسيظلون يحتسون قهوتهم، وسيستمرون في الثرثرة وكأنك لست موجوداً هناك، بعد ذلك قُل سعرك أو اسألهم عن سعرهم، وفي الحالة الأولى ستحصل على هزة رأس مهذبة، وفي الحالة الثانية ستحصل على إجابة مثيرة للضحك، اقسم هذا السعر على اثنين، وعندما تخفف الابتسامة الرتابة على الخطوط الزاهدة للشفاه توصل إلى حل وسط أو استمر في مشيك للمحل التالي.

إنها متعة كبيرة، ومن الصعب أن تغادر

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

المحل دون أن تتورط في شراء مجموعة رائعة من المشغولات الحديدية القديمة أو الحُلي المشكوك في فائدتها. ومن الطبيعي أن تكون الشوارع ضيقة جداً وغير مجهزة للسيارات. لكن الكويت مع الوقت ستسير نحو عالم المواصلات، ويجب أن تجهز الطرق التي تم إعدادها للجمال والحمير لاستيعاب السيارات (الفورد) في كل مكان.

ومعظم الشوارع تؤدي إلى مكان السوق، حيث تجلس النساء المتحجبات وهن محميات من الشمس بالحُصُر، يجلسن على الطين أو التراب، ويَبِعن المواد الغذائية التي لا تستطيع أن تتعرف طبيعتها.

وتقع خارج هذه المتاهة من المنازل صحراء يقطنها العرب المتنقلون، الذين يوجدون حيثما وجدت الآبار، لكن جهودهم لا تتوج بالنجاح بسبب التربة القاحلة وندرة المياه والهجمات المدمرة للجراد. ويحيط بالمنطقة كلها سور طوله ثلاثة أميال ونصف، ويمتد من البحر إلى البحر، والسور مصنوع من الطين والأسمنت، ويتخلله واحد وثلاثون برجاً، وهناك أربع بوابات؛ الجنوبية والشرقية والرئيسية والشمالية، وعلى امتداد الجزء الأعظم من السور ترتفع درجة للوقوف عليها لإطلاق النار، وهناك فتحات للرمي فوقها، وسيتم وصف طرق الدفاع بعد ذلك لاحقاً.

وهناك قصران بالقرب من البوابة الجنوبية؛ أحدهما يخص شيخ الكويت، والآخر يخص شيخ المحمرة. وكان شيخ المحمرة داعماً متحمساً للإنجليز في أثناء الحرب، ولكنه دخل في صدام عنيف مع الفرس وهُزم وأخذ سجينا، ولم ينقذه من موت محقق إلا تدخلنا، وقد احتفظ به سجيناً دائماً في طهران، ولكنه سُمح له بالكثير من المزايا الحسنة.

وقُبالة هذا المكان أنزلنا المرسى في اليوم السادس عشر، كانت تطلعاتنا للقتال محكوماً عليها بخيبة الأمل؛ لأنه عندما وصل الممثل السياسي على متن السفينة قال إنه بالرغم من أنَّ الهجوم كان مهددا، فإن المغيرين كانوا بعيدي المنال، وبعيدًا عن تجهيزات الحرب انتظرنا الأحداث وكلنا صبر.

كان الموقف غامضاً جدًا، وحصلنا على كل المعلومات تقريبًا من إشاعات السوق، ومعظم هذه المعلومات كان لها نفس العلاقة بالحقائق مثلما كانت الإشاعة الروسية الكلاسيكية أثناء الحرب، وكان الجزء الرئيسي من المغيرين تحت قيادة الدويش، الذي كان يتصرف دون تفويض من ابن سعود، وقيل إن ابن سعود أرسل قوة مكونة من ثلاثة آلاف رجل للتعامل مع رجال القبائل المتمردين ولكن هذه القوة سُرِّحت دون إنجاز أي شيء. وظهر التأكيد بذلك عندما عادت الرسل – الذين ذهبوا إلى ملك الحجاز – وقالوا إن ابن سعود أقر بعدم مقدرته على السيطرة على الدويش، وبالإضافة إلى ذلك جاءوا بإشاعات بأن الحرب المقدسة – جهاد الصحراء السنوي القوي – تم الإعداد لها، وقد قطع الرسل رحلة قدرها ٣٠٠ ميل عبر الصحراء في سبعة أيام دون تغيير جمالهم.

وفي هذه الأثناء لم نبق من غير عمل على متن السفينة؛ فقد تدربت الفصائل، ومارست القصف،

وكانت الاستعدادات لشن الهجمات متوقفه على إشارة قصيرة. وقد أثبتت تجاربنا في الصين أن لها قيمة، والكل كان مُصَمماً على أنه إذا حدثت أي مشاكل فلن يكون هناك تكرار لأحداث مماثلة.

وفي التاسع عشر من فبراير تلقينا أنباء عن خروج الطيران وقطاع من السيارات المدرعة لمطاردة المغيرين، وقد وجدتهم الطائرات وقذفتهم بالقنابل، وتم الانقضاض عليهم أيضًا ببنادق لويس Lewis Guns . ومرة ثانية وفي اليوم التالي ألحقوا بهم المزيد من الخسائر، ولسوء الحظ فُقدت طائرة وقُتل الطيار؛ إذ كان على الطائرة الهبوط اضطرارياً، فهبطت بالقرب من بعض الأعداء ، وهبط الطيار بأمان، ولكن أُطلق الرصاص على رأسه وقلبه، وتم تدمير طائرته، وقد تم العثور على جثته في اليوم التالي وقد جردت تماماً من ملابسها. ولم يتم التعرف على الخسائر التي تكبدها الأعداء ولكن تم قتل عدد كبير من دوابهم وقطعانهم، وكان هذا – بالطبع – شيئًا خطيرًا بالنسبة للمغيرين، إذ تعتمد تحركاتهم على الجمال، لذا فقتل دوابهم وقطعانهم يعيق تحركاتهم بشكل كبير. وللحصول على ميدان أفضل لإطلاق النار عند التسليح الرئيسي انتقلنا إلى مكان على بعد ميل ونصف الميل تقريبًا من الجانب الشمالي للسور، وكنا نأمل أن نكون محميين من رياح الشمال التي كانت تهب بقوة وباستمرار. ومع ذلك تحولت الرياح كلية إلى "كوس" (جنوبية)، وتبدلت إلى رياح "نعشي" (رياح شمالية شرقية شتوية) التي بدورها جعلت المكان سيئًا لهبوط الطائرات.

وفي اليوم الثاني والعشرين من الشهر هبطت قوة دفاع الكويت Kuwait Defence Force وحَصَّنت السور، وتكونت القوة من الفصائل ١و٣ وقوات البحرية الملكية. وكان الإعداد للتدريب خياليًا إلى أبعد الحدود؛ انقسم الرجال إلى أقسام لحراسة الأبراج والبوابات، وتم ملء الفجوات المتداخلة بالمدفعية استعداداً لحدوث أي هجوم، وبالوقوف أعلى البوابة الرئيسية، مستعينين بخوذات واقية مصنوعة من القصدير، ومحدقين عبر الصحراء، مما يشعر المرء بأنهم مثل شخصية من رواية "بيوجست" Beau Geste. كان القائد المسؤول عن القوة يمتطي فرساً عربياً نشيطاً، ويرافقه اثنان من رجال البحر على الخيل أيضاً، مما يضيف جديداً إلى روعة المشهد.

وبعد استعراض المواقع عاد أفراد السرية إلى ظهر السفينة، وهُم مبللون جراء هذه العملية. وكنا حتى الآن نسخر من فكرة الهجوم، ولكن – وبشكل ما – بعد رؤية المكان عن قرب بدا أننا ضمن حدود إمكانية الهجوم بشكل أكبر، وبالإضافة إلى ذلك تخيلنا أنفسنا في محيط رواية بيو جيست Beau Geste، وقد تم إعادة إرسال المئات من الصور لبلادنا، وكل هذه الأشياء – مصحوبة بقصص عن يقظة قلقة على الأسوار – التي في انتظار الهجوم من قبل جحافل لا حصر لها من مغيرين متوحشين من الصحراء قد تجعل شعبنا في بلادنا فخورين بنا.

لم نر كثيراً من الجيش المحلي في مدينة الكويت ولكن رأيناه في الجهراء، وهي بلدة على بعد ١٥ ميلاً تقريبًا غربًا، التي كانت تتمركز فيها قوة تحت

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)

(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

صورة للمعسكر

قيادة الشيخ عبدالله، وكان هذا الشيخ شابًا في عمر الرابعة والعشرين وكان ذكيًا بشكل لافت للنظر، وكان قارئا على نطاق واسع، وكان من الصعب أن تصدق بسبب معرفته وأسئلته أنه لم يذهب إلى إنجلترا قط.

كُنا في شهر رمضان، وفي أثناء النهار كان العرب يميلون إلى النوم والمزاج السيئ، ولكن الشيخ كان على استعداد كبير فقط لاستعراض جيشه؛ تَكَوَّن جيشه من حوالي ٥٠ فارسًا و٢٠٠ من المشاة مُسلحين بمجموعة غريبة من البنادق، وكان العدد الأكبر من هذه البنادق صناعة تركية أو ألمانية أو إنجليزية، ولكن بعضها كان عبارة عن بنادق عربية قديمة ذات مواسير طويلة وأطوالها مثل أنابيب الغاز، مثبتة على قطع من الخشب، وكان الكل تقريبًا لديه سيوف وخناجر ممتازة، وبعض الفرسان كانوا يمتلكون رماحاً طويلة، وفي استعراضهم كان المشاة يصطفون أولاً ويندفعون مارين بالشيخ مطلقين صيحات الحرب العاصفة، وقد تم استعراض مهارات رائعة عند رميهم ببنادقهم الثقيلة في الهواء وهم يمسكونها بيد واحدة مرة ثانية.

وفي الرابع والعشرين من فبراير نفذت القوة الجوية حملة عقابية على الصفا، مركز قيادة الدويش، وقالوا إن الحملة كانت ناجحة، ولكن عندما يتفرق المهاجمون ستلحق الطائرات بهم أضرارًا بسيطة. وخلال عطلة نهاية الأسبوع هذه هبت عاصفة جنوبية قوية، ولوحظ أنه إذا طُلب عبر إشارة قصيرة أن نكون على الشاطئ فسيكون هناك صعوبة كبيرة في عملية إرسال القوة، وبالطبع لم يكن هناك أرصفة على الشاطئ، باستثناء الذي

بجانب دار المندوب السامي، ومع جودة قوارب الخدمة فإنها لم تكن مصممة لنقل القوات إلى الشاطئ، وكُنا ندرك ذلك تمامًا من خلال تجاربنا السابقة، ونتيجة لذلك تقرر إنزال قوة دفاع وتشكيل معسكر داخل أسوار المدينة.

(٢) في المعسكر

هناك العديد من التجهيزات الواجب إعدادها لإنشاء معسكر للقوة البحرية؛ فنحن لدينا المبادئ، ولحسن الحظ كان لدينا البحارة القادرين على التكيف بشكل غير مألوف مع البيئة المحيطة به.

ففي اليوم التاسع والعشرين من فبراير ذهبت مجموعة إلى الشاطئ لاختيار موقع للمعسكر، ولأننا لا نملك خياماً على ظهر السفينة فقد كان لزامًا علينا أن نتقدم بطلب إلى الشيخ من أجل الحصول على خيام. وكان الشيخ حسنًا معنا، فقد مَكَّن البحارة من العيش في ترف نسبي، بينما كانت القوة الجوية تمتلك فقط خيام خدمة صغيرة. وكان الموقع في الداخل من البوابة الشمالية، وكان هذا المكان محميًا من العواصف الجنوبية وقريبًا قدر المستطاع من شاطئ الهبوط، وفي الوقت نفسه حل سرب من الطائرات وأسطول من العربات المصفحة ونصبوا خيامهم خارج البوابة الشرقية تمامًا. وتمثلت المشكلة مع الطائرات في أنها غير قادرة على الدفاع عن قاعدتها؛ فمع القيمة التي لا تُقَدَّر بثمن لوجود الطائرات في حرب الصحراء بسبب حركتها العظيمة، فإن الوقت مازال بعيداً حتى يأتي اليوم الذي تحل فيه الطائرات محل الجيش بشكل كامل.

وقد قضينا يومًا ممتعًا في نصب الخيام، كان الجو رائعًا، ولم يكن هناك نسمة هواء تُحَرِّك سطح الخليج، لذا تسهلت الأعمال المتعلقة بالقوارب، واستمر هذا الجو الجميل لمدة يومين، وفي الأول من مارس جاء الأمر لمجموعة طلائع قوة الدفاع الكويتية بالهبوط. كان في هذه الدفعة كل من الفصيل رقم ١ وكل قوات البحرية ونصف موظفي مركز العيادة، وأصبح الجو باردًا ليلاً قبل الهبوط، وهبّ نسيم جنوبي شرقي قوي. ومع ذلك ومع ظهور علامات الوَخَم مع ظهور ضوء النهار تَقَرَّر الاستمرار في الترتيبات الأصلية، وبعد قليل وبعد أن طلب إلى القوارب الذهاب هَبَّت الرياح العاتية وانتفضت أمواج البحر، وبالرغم من ذلك ملأ الرجال القوارب وانسحبوا في الوقت المناسب تمامًا؛ فبمجرد الابتعاد عن السفينة كان الإبحار عاديًا حتى الاقتراب من الشاطئ، وكانت الرياح في أسوأ اتجاه ممكن، وكانت مهمة الإنزال مليئة بالبلل، ومع العلامات التي حملها اليوم بأن الجو حار، ومع وجود كثير من العمل الشاق عند الهبوط، كان الرجال يرتدون ملابس استوائية. وأخذ الجو يتحول إلى المزيد من البرودة ساعة تلو الأخرى، وكان هناك مأوى بسيط على الشاطئ، وكان إعداد المعسكر في مراحله الأولى، وقد تمت إزالته بعد أن قمنا ببناء منزل مريحً بدلاً منه.

كان جنود القوات البحرية في أماكنهم، وتحدثوا سويًا بشكل مُطَّلع عن الجانب الفني في بناء المعسكر، ولكن ذلك كان سببًا لسخرية كبيرة بعد ذلك عندما لاحظنا أن الخيام الوحيدة التي فشلت في تصديها

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

للطقس هي تلك الخيام التي نُصبت من قبل الفيلق العسكري.

وكانت المسافة من مكان الهبوط إلى المعسكر حوالي ربع ميل، وكان الذهاب صعبًا وثقيلاً بسبب نعومة الرمال. وقد تمّ استخدام الجمال والحمير لنقل الأغراض، وكانت مهمة طويلة لإنزال المؤن والذخيرة. وقد قامت قوارب (المهيلة)[1] بنقل معظم الأغراض إلى الشاطئ، ولكن كان من الصعب وضعها جنبا إلى جنب مع السفينة، وكان من الأصعب وضعها على الشاطئ، فعملت كل الأيادي، سواء أكانت على ظهر السفينة أم على الشاطئ، بشكل ممتاز قبل أن يحل الظلام، وكان كل شيء منقولاً إلى مكانه المُحدد، وأصبح لدى الرجال آنذاك الوقت كي يخلدوا إلى راحتهم، وكانت الخيام جيدة جدًا، ولكنها كانت تسمح بدخول الهواء، ومع مرور الأيام تم الحصول على ستائر وحُصر، وأصبحت كل الخيام تقريبًا محكمة لا تسمح بمرور الهواء، ولكن الليلة الأولى قُضيت بعدم ارتياح.

وقضي اليوم التالي في نَصْب خيام لباقي المجموعة، وكانت الرياح مستمرة من الاتجاه نفسه، وأدركنا أن اليوم المذكور في الأغنية المعروفة "حتى تصبح رمال الصحراء باردة" قد وصل أخيرًا. وكان هناك تغيير كبير في روتين السفينة، وأصبح الجميع مبتهجين.

ومع برودة الجو الشديدة مرة أخرى تلك الليلة طلبنا ربط الحبل الرئيسي للسفينة، وحيث وصف بَحّار - فيما بعد - الوقت الذي استغرق انتظارًا للرد بأنه الأكثر قلقًا خلال الوقت الذي قضوه على الشاطئ. ثم كانت الإجابة التي تلقوها بهتافات ساخرة: "لم تتم الموافقة، ولكن قد يتم صرف بدل إضافي من الكاكاو".

وفي يوم السبت الثالث من مارس نزلت بقية مجموعة السفينة "إميرالد" ، ومع الطقس الأكثر دفئًا كان الكل سعيداً.

في هذه الأثناء وصلت التعزيزات بالسفينة "كروكوس Crocus " والسفينة "لوبين Lupin"، وأنزلت كل سفينة منهما فصيلاً، وبذلك وصلت القوة الكلية إلى حوالي مئتين، وتَمَثَّل النقص الرئيسي في الذخيرة. وكان التقدير أنه عند أقصى معدل لإطلاق النار قد يستمر إطلاق النار خمس دقائق فقط. ومع ذلك تم علاج ذلك الأمر بسحب مؤن من القوة الجوية والحصول على بعض البنادق الآلية والأحزمة في الوقت نفسه.

كان طول السور المطلوب حمايته كبيراً جدًا للدفاع عنه بمثل هذه القوة الصغيرة، ولكن لم يكن لدي "الإخوان" سلاح أكبر قوة من البنادق الحديثة، وقد قُسّم السور إلى أجزاء، وأخذ الفصيل رقم ٣ من الطرف الشمالي من السور إلى البوابة الشرقية، وأخذ الفصيل رقم ١ من البوابة الشرقية إلى البوابة الرئيسية، وأخذت كل من السفينة "كروكوس" والقوات البحرية من البوابة الرئيسية إلى البحر، وتم تعزيز "كروكوس" بإنزال سلاح (بوم - بوم) الهاون ذى المدقتين ووضعه على السور تجاه الجانب الشمالي للبوابة الرئيسية. وكانت مقرات القيادة على

(١) المهيلة: سفن النقل المحلي.

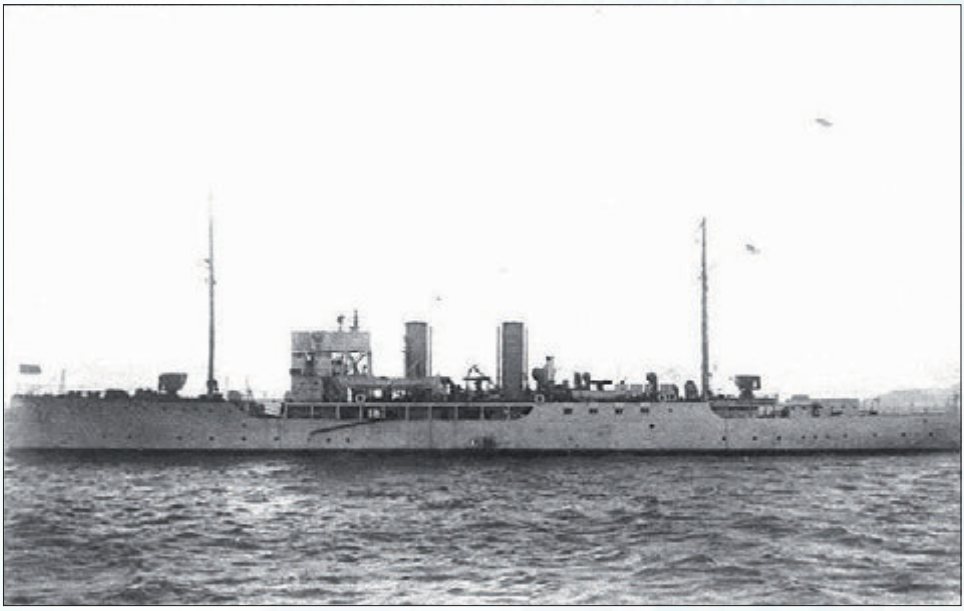

السفينة كروكوس

السفينة لوين

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

البوابة الرئيسة، وتم وضع رشاش آلي هناك، وكان لكل من السفينتين "إميرالد" و "كروكوس" مدى جيد لإطلاق النار تجاه الطرف الشمالي للسور، وكان للعرين مدى جيد لإطلاق النار تجاه الطرف الجنوبي، وكانت الرؤية من السورين ممتازة، وكان من الممكن إضاءة الصحراء ليلاً باستخدام كَشَّاف يضيء لمسافة كبيرة.

كانت الأبراج التي لم يوجد بها رجال من القوة البحرية مزودة بالجند العرب، الذين كانوا محتشدين بكثافة على امتداد مواضع إطلاق النار من السور، وتم الاحتفاظ بالاحتياط وهم على أُهُبَّة الاستعداد خلف البوابة الرئيسية. وقد شعرنا في الحقيقة بأننا قادرون تمامًا على إعطاء صورة جيدة عن أنفسنا ضد أي عدد من المغيرين.

وقد نشرت صحيفة إنجليزية معنية تقارير مليئة بالمبالغة والمخاوف تجاه الوضع؛ فقيل إن هناك ألفين من المهاجمين يتحركون تجاه الكويت، وزعموا أن رسالة إذاعية نشرت لحث القبائل على الالتحاق بالجهاد، وقيل أيضًا إن قوات أرسلت من الهند – المقصود قوات الجوركا Ghurkas – وذلك لحماية المدينة، والحقيقة أن هناك احتمالاً كبيراً للهجوم على البصرة، التي من الصعب عليها أن تدافع عن نفسها، وأنها ستكون جائزة أقيم بكثير.

وفي الخامس من مارس أدينا تمرينًا مشتركًا مع الجيش العربي، وذهبت السرية إلى مواقعها في وقت الضحى، لذا كان مشهد حشد الجيش المحلي رائعًا، وكانت المواقع الرئيسية للحشد متمثلة

صورة لسور الكويت وأمامه حشد من الجنود والمواطنين

في البوابة الرئيسية والمعسكر البحري. ومن كل موقع من مواقع المدينة تدفقت أفواج من الرجال، الذين شَكَّلوا مجموعات صغيرة، وكان منظرًا عظيمًا، وأبقت النسمات الخفيفة الرايات ترفرف على سارياتها، بينما سطعت الشمس على السيوف والرماح اللامعة، وترددت عكس اتجاه الريح أصداء قرع الطبول وصيحات الرجال المتحمسين. ومن وقت لآخر كانت مجموعة من الرجال تتوقف وتؤدي رقصة الحرب أمام زعيمها، الذي بدوره يصبح في أوج الانفعال مع حماس متعصب، قد يكون مشابهًا لجنون الرقص الذي اجتاح أوربا في العصور الوسطى.

وتتعالى صيحات حشد معسكر البحرية عند إعطاء الإشارة لهم في الهتافات قوية جعلت بعض الحرس هناك يعتقدون أن الهجوم قد حدث عليهم فتحركوا بشجاعة كي يدافعوا عن مستودع الذخيرة.

وفي لحظة انفعال تم إطلاق النار من العديد من البنادق، فأصيب أعرابي واحد على الأقل. وبالسؤال عن حالته بعد عدة أيام أُخبرنا بأن حالته جيدة، ولكن الرجل الذي أطلق النار وأصابه كانت حالته سيئة، وقد وقع محارب آخر في بئر عميقة، وتم سحبه وهو يبتسم وهو في هذا الحالة من التعب، وقد عوقب بضربه ضرباً مبرحاً بسبب إهماله.

وعندما تم تعزيز الأسوار بالجنود قام كل من الكابتن والمُمَثِّل السياسي والشيخ بجولة لتفقد مواقعهم.

كان المشهد رائعاً عند رؤية المواطنين وهم يؤدّون صلاة العشاء؛ فقد تركوا أماكنهم على السور في مجموعات صغيرة وتوجهوا صوب الكعبة.

وقد تفرقنا قبل الغروب، وذهبت القوة البحرية لخيامها، وذهب المواطنون إلى منازلهم في انتظار بنادق المساء التي طال انتظارها، وأبلغوهم إجمالاً بإمكانية البدء في تناول الطعام، وكان من المفروض أن يكون هناك حوالي ألفين من الرجال المسلحين، ولكن حوالي ٤٠٪ فقط من القوة كان يحمل بنادق سيكون لها فائدة كبيرة في أثناء المعركة بلاشك، وسيَدْعَمُنا حلفاؤنا البواسل طالما نحن فائزون، ولكن عند رؤيتهم لأول إشارة لهزيمتنا فمن المحتمل أن يُغَيِّروا مواقفهم مع مرور الأيام، ولم يَخْلُ أُفُق الصحراء من سحابة من الغبار، وكانت الاستطلاعات الجوية دائماً ما تشير إلى الشيء المُمل نفسه.

وقد سرت إشاعة قوية بأن التقرير المُبَالغ فيها عن الملك فيصل، ملك العراق، تشير فقط إلى أنه سيكون ممتنّاً لنا بسبب حمايتنا لبلاده.

وربما يكون الشخص الأكثر سروراً بذلك هو شيخ الكويت؛ إذ انتهت مخاوفه بوجودنا هناك، حيث أصبحت فكرة الهجوم مستبعدة. كان للشيخ لحية داكنةّ ووجه مرح، وكان يميل للبدانة بسبب

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

الحياة المستقرة (قليلة الحركة)، ولكن رؤيته للبحارة وهم يمارسون الرياضة ألهمته أن يحذو حذوهم؛ ففي كل مساء كان يخرج مع بعض الأصدقاء المختارين بسيارته إلى مكان هادئ، ثم يترجلون هناك، كان يشمر عن ثوبه، وينطلق في سباق عدو لحوالي ٢٠٠ ياردة مع رفاقه غير المحظوظين الذين كانوا يلهثون في المؤخرة.

وكان قصر الأمير مبنى أبيض ضخماً من الطراز العربي، وكان الأثـاث بالداخل يجمع بين أثاث رخيص لمنزل بجوار البحر وواجهة لمعرض بيع لندني كبير، وكانت الغرفة التي يستقبلنا فيها كزوار مجهزة بأثاث من تصميم وورنج وجيلو Waring and Gillow's، إذ كان الشيخ شديد الإعجاب بأسلوبهم في التصميم في أثناء زيارته للندن، وكان لون السجادة (الزولية) أخضر تفاحيا، وبها ورود حمراء وبقع صفراء، وكانت الجدران مزخرفة بطباعة رخيصة، وقد تم تخفيف الملل من المرآة الذهبية التي تعلو الموقد بوضع زهور مُقلدة (صناعية) متربة.

ومع ذلك كان الشيخ كريماً جداً في ضيافته، وطلب إلى الضباط أن يشاهدوا السينما الخاصة به، وبدأ المساء بشرب مستمر لقهوة ممتازة، وشربات غير جيدة، وخليط وردي حلو جداً. وفي أثناء ذلك الوقت تم تبادل التحيات أو التهاني عن طريق الوسيط سالم، المترجم البلوشي (من باكستان)، وبعد ذلك جاءت الصور، وكانت هناك مجموعة من اللقطات السينمائية لمناظر غير واضحة ومشكوك فيها للقاهرة، وسلسلة طويلة من الصور للملك فؤاد وهو يفتتح محطات السكك الحديدية والمنشآت. والمجموعة الأخرى كانت قديمة جداً لإنتاج أمريكي إنجليزي، حتى إن هذه الصور ظهر عليها تأثير المطر الغزير، وقد تبع ذلك احتساء المزيد من القهوة ثم الوداع.

* * *

وفي اليوم الثاني عشر من مارس تم إرسال السيارات في مهمة مسح للصحراء لمدة ١٤ يوماً، وفي اليوم التالي مرّوا عبر مجموعة صغيرة من الرجال يحرسون قطعاناً، وبمجرد أن التفوا حولهم تم إطلاق النار عليهم، ضَغَطت كثير من الأصابع المتعطشة لعمل شيء ما على زناد بنادقهم، مِمَّا أَدَّى إلى قتل شخص وإصابة آخر، وتوقفت السيارات وتم أخذ المصاب سجيناً، ولقد كان سعيداً؛ فعلى ما يبدو أن أهله كانوا إما سيقطعون عُنقه أو سيتركونه يتضور جوعاً وتأكله الكلاب البرية، وكانت المعلومات التي أدلى بها تفيد بأنه يتم الإعـداد لهجوم كبير، وأَنَّ المغيرين يمرون عَبْرَ الباطن تجاه حدود العراق والبصرة. وكان ذلك يتماشى مع الأخبار التي تم تلقيها مسبقاً منذ عشرة أيام.

وقد عـادت السيارات المُصَفَّحة من مهمة الاستطلاع في الثاني والعشرين، وبما أنهم لم يروا شيئاً فقد اعتبر أن كل الخطر في الوقت الحالي منتهٍ، ومع ذلك لم يكن هناك تراخ في اتخاذ التدابير الوقائية.

* * *

كان الطقس في ذلك الوقت رائعاً؛ دافئاً نهاراً وبارداً ليلاً، وقد شعر الرجال بالارتياح بشكل كبير، وكانوا يقومون بالذهاب إلى المزارع، وكان من الممكن الحصول على الطيور والبط بسعر رخيص جداً، وكان

العرب يقومون بتجارة مزدهرة، فقد اشترى أحد الضباط خروفاً أسود، وأصبح الخروف مروضاً تماماً، واعتاد على اتباع أوامر صاحبه، وكان قَدَر هذا الخروف مأساويا بالفعل، وهذا هو ما حَلَّ به.

وكنا نشعر بالضيق الشديد يومياً من الكلاب الآكلة للفضلات، ومع مرور الوقت أصبحت أكثر جرأة، وفي ليلة المأساة طافت الكلاب حول الخيام، ووجد الحراس صعوبة في طردها بعيداً، وكان الخروف الصغير المسكين مربوطاً في خيمة المقصف، وأَغْرت رائحته الشهية ثلاثة كلاب شرسة انقضت عليه في وقت قليل جداً، وقامت بتمزيقه إرباً، ولحسن الحظ تم طرد الكلاب قبل أن تأكل أفضل القطع من الخروف، وكان منظراً حزيناً في اليوم التالي عند مشاهدة صاحب الخروف ما حدث له وقت الغداء؛ لقد جلس مثل حصان البحر بملامح حزينة في خيمته، وبالكاد استمتع بأجزاء طرية مطهية من خروفه، وبذلك استطاع أخيراً أن يتغلب على حزنه.

وقد تبع ذلك الانتقام من هذه الكلاب؛ إذ قامت المجموعات كل ليلة بالخروج مسلحين بالبنادق، وبعد قتلهم للقليل من الكلاب تعلمت الكلاب الحكمة فتوقفت عن مضايقتنا ليلاً.

وفي أثناء الأسبوع الثالث من الشهر أجرى شيخ الكويت استعراضاً لقواته في الصحراء خارج البوابة الرئيسية، وكان ذلك شبيهاً تماماً بالاستعراض الذي تم في الجهراء، ولذلك ليس هناك حاجة لوصفه مرة ثانية.

ومع بدء ذلك تَقَرَّر عمل عرض عسكري للقوات البحرية Naval Tattoo على أرض ملعب كرة القدم، وكان ذلك تغييراً للروتين الذي يعيشه الرجال، وقد استمتعوا بذلك، وقد سبق ذلك عمل كثير شاق للقيام بذلك، وكانت النتيجة كما ينبغي؛ فقد تَدَرّب البحارة ومشاة البحرية، وقد أدت الدفعة التدريبية عرضاً رائعاً حقاً، وكان الأداء بالسلاح الناري محاكياً تماماً للمعركة.

بدأ المشهد بثلاثة بحارة إنجليز وهم جالسون أمام نار معسكرهم، مستمتعين بلعب مباراة بورق اللعب (كوتشينة)، وأُعلن فجأة البدء في "المهمة الأخيرة" Last Post، ومع الانضباط الذى يعد سمة ثانية للبحارة "Metelots" توقفوا عن اللعب في الحال، وتركوا واحداً للحراسة.

وبدأت الشمس في المغيب خلف سور المدينة جاعلة بذلك الصحراء سابحة في ألوان ناعمة، وعندما تخلل سكون المساء صوت موسيقى صاخبة، وفي أثناء انهماك الحارس مع أفكاره حول بلده أخفق في سماع الأصوات المتنامية، كما أخفق أيضاً في ملاحظة أشخاص في الظلام يتسللون تجاهه.

وفي لحظة قفزوا على ظهره، وتغلبوا عليه، ومن المفترض أن يتم ذلك بسبب ضغينة أو حقد تجاه هذا المَلَّاح الشجاع؛ فقد طرحوه على الرمل بشدة، وفي الحال قفز هؤلاء المتوحشون، الذين يرتدون ملابس تثير الرعب على كل الجهات، "وانتاب السقف المُذَهَّب الرعب" بسبب مجموعة من الفرسان الذين هجموا على المعسكر بجيادهم، وبالرغم من المقاومة

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)
(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

الجنود وهم يؤدون تمثيلية أمام المواطنين

قُتِل اثنان من البحارة، وأُخذ الثالث أسيراً، وتَجَمَّد دم المشاهدين في عروقهم عندما رأوا أن القصد كان تعذيب الأسير ثم بعد ذلك أَكْلَه؛ فالموضوع الأول وهو التعذيب كان أمراً سهلاً تماماً، وعندما تَمَدّدت الضحية رقص المتوحشون رقصة الحرب حوله، ولحسن الحظ كان الإنقاذ في متناول اليد، إذ إنه لوُحظ أن قائد الرقص، وهو رجل سمين جداً، أصبح منهكاً. ومن خلال حزام من أشجار السرو دوى وابل من النيران، ثم تضاعفت مجموعة الإنقاذ وهم مرتدون ملابسهم المثالية، فتوقف آكلو لحوم البشر عن رقصتهم، وبسبب تعبهم تم أسرهم.

وصل العرض الممتاز إلى نهايته، وكان عبارة عن مسيرة عسكرية March، وبدا الشيخ مستمتعاً للغاية عندما ألقى هؤلاء المتوحشون التحية. ليس هناك شك في أن العرب أُعجبوا تماماً بالموضوع برمته. إنَّ أكثر شيء أَثَّر في أي شخص كان نظام الحشد، فقد كان هناك عدد ضخم يشاهد العرض، ولم يحاول أي منهم أن ينتهك أو يتجاوز الساحة.

وافق الرابع والعشرون من مارس يوم السبت، وصادف ذلك اليوم إقامة مباراة كرة الهوكي Hogee Ball، وتم الاقتراح في بعض الأماكن أَنَّ تذهب الكرة للفائزين في سباق التتابع الهربي، وكان الرأي العالمي يرى أَنَّ المناسبة كانت رسمية للغاية. وفي النهاية تقرر أن يكون هناك سباق تتابع عادي والعَدْو (الجري) حول ملعب كرة القدم.

كان يوماً رائعاً، وبعد سباق جيد فاز فصيل المدفعية بسهولة، وقَدَّم الكابتن بعد ذلك الكرة له، وألقى خطاباً قصيراً؛ كانت التمنيات بأن يستمر هذا

التقليد، إذ لن يتكرر بمثل هذه الصورة في السنوات القادمة؛ فلن يتبقى أحد في عام ١٩٢٩م من الذين حضروا هذه المناسبة.

والآن كان وقتنا على الشاطئ يقترب من نهايته؛ إذ تَقَرَّر البدء في صعود السفينة مرة ثانية يوم الجمعة الموافق الثلاثين من مارس، تاركين كلاً من "كروكوس" و"لوبين" على الشاطئ، ولكن الإشاعات بدأت في الظهور من الصحراء مرة ثانية، بأن "الإخوان" بدأوا يتحركون، لذا تَقَرَّر الانتظار حتى وصول سفينة "إنتربرايز".

بدا الطقس متقلباً طوال يوم الثلاثين، ولكن عند الساعة الثامنة مساء هدأت الأحوال الجوية، وفجأة سُمع صوت عاصف، وضَربت المعسكر صرخة عنيفة، كان الضباط على وشك الانتهاء من عشائهم، وبدا أن ذلك هو عشاؤهم الأخير في خيمة الطعام، انحنت الأَعْمِدة الداعمة للخيمة تحت الضغط، وقبل أن يَفر أي شخص انهارت الخيمة بالكامل، ولحسن الحظ لم تسقط لمبات الزيت، ولَم يُصب أيٌّ من الأعمدة، ويعود الفضل لشخص إيرلندي كان بدوره – متجاهلاً سلامته الشخصية – فقد ظل في مكانه كي يُنقذ ما يمكن إنقاذه، عَوَت الرياح في كل مكان فأثارت سحابة من الرمال مُسَبِّبة للعمى وهي تتحرك في دوامات مفرغة، وفجأة انطلقت يد من كتلة قماش ممسكة بزجاجة ويسكي، تبع ذلك ظهور وجهُ مُنتَصر، وسماع صوت مُخاطباً القائد: "لقد وفرت الكحول، سيدي".

وفي الوقت نفسه انهارت واحدة من خيام المشاة، وكذلك المقصف الخاص بهم، وقد تم توفير إقامة مؤقتة لهم في الأبراج.

استعراض من جنود البحرية البريطانية

(homepage: http://www.crsk.edu.kw)

(حقوق الطبع والنشر محفوظة)

واستمرت العاصفة لفترة قصيرة، ونزلت بعد ذلك أمطار متفرقة كثيفة على الرمال.

وفي اليوم التالي ذهبت قوات البحرية وبعض الضباط إلى قصر شيخ المُحَمَّرة، وفي تلك الليلة كان هطول المطر عنيفاً مما تسبب في جرف بعض الخيام وخروج الضباط وهم في حالة سيئة.

وفي صباح يوم الإثنين الثاني من أبريل وصلت السفينة "إنتربرايز"، وتم عقد جلسة تشاور لمناقشة الوضع، وجاءت نتيجة المؤتمر بأن يحل مشاه البحرية بسفينة "إنتربرايز" محلّنا في الحال، وأن تنزل السرية بأكملها يوم الثلاثاء كي تعيش في القصر.

(٣) الرحيل من الكويت

بمشاعر من الحزن قمنا بالتجهيز لترك مقرنا الصحراوي، وتم نقل مخازن قطع الغيار والذخيرة والبنادق إلى متن السفينة، ومع نهاية صباح يوم الثلاثاء تُرك القليل فقط من الخيام منصوبة، وبدت البقعة التي كانت في يوم من الأيام عامرة - بدت مهجورة.

وقد واكب رسوّ سفينة "إنتربرايز" طقس جيد جداً، وعند ظهيرة اليوم الثاني من أبريل انتهت مهمة الدفاع عن الكويت.

وعـادت السيارات المُصَفَّحة من مهمة "الاستطلاع" في ذلك اليوم، ولكن لم تتم مشاهدة شيء، لقد كانوا على يقين من أنهم سيرون شيئاً ما، لذا انتابهم إحباط شديد.

ومـع حلول الليل ركبت السرية السفينة "إميرالد" مرة ثانية. لقد قاسى كل الرجال تقريباً في أثناء فترة المعسكر، إذ إن الماء الوحيد الذي كان متاحاً لأغراض التنظيف كان ماءً مالحاً قليلاً من الآبار.

كان بعض كبار السن يتمتعون ببناء جسماني جيد، في حين أصيب معظم الشباب بفطريات صغيرة حول ذقونهم.

كان الاستحمام مرة ثانية شيئاً ممتعاً، بالرغم من أَنَّ معظم الرجال على سطح السفينة كانوا يستحمون أكثر من مرة للتخلص من الرمال.

وقد شعر كل من كان من المجموعة التي استقلت السفينة بالأسف على العودة إلى متنها، فقد كان تغيير رتابة العيش على ظهر السفينة استراحة لطيفة، وكانت المعيشة في الخيام نوعاً من التجديد، وكان الأمر برمته تجربة ممتازة، ويستحق أولئك الذين على ظهر السفينة تكريماً كبيراً؛ فقد كان لديهم عمل على ظهر السفينة قَدْر العمل الموجود في المعسكر دون تعويضات، وكان طاقم السفينة ممتازاً؛ إذ كان عملهم متصلاً وثقيلاً تحت ظروف لم تكن دائماً ممتعة.

وفي الساعة السادسة والنصف صباح يوم الأربعاء الموافق الرابع من أبريل أبحرنا إلى بومباي، ولم تتم الرحلة دون وقوع حوادث.